بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشُّورى: 28].

وقال الله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 109،110]

قال ابن كثير في تفسيرها: (يخبر تعالى أن نصره يَنزل على رسله –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– عند ضيق الحال وانتظار الفرَج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:214].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إنَّ حسن الظَّن بالله من حسن العبادة))** [رواه الترمذي والحاكم].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي))** [رواه البخاري ومسلم].

وعن محمد بن كعب قال: **(الكبائر ثلاث: أن تأمن مكر الله، وأن تقنط من رحمة الله، وأن تيأس من روح الله؛** ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:99]، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:56]، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87]).

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثانية والعشرون في سلسلة: "قرأت في كتاب"، أختار لكم فيها فوائد منثورة، في كتب قرأتها أو بعضها؛ ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

)لا تيأسوا من روح الله (

قرأت في كتاب للباحث علي نايف الشَّحود عنوانه "احذروا اليأس، فإنَّه قتَّال"، فأحببتُ أن أطلعكم على شيء مما جاء فيه.

اليأس: هو القنوط، وهو نقيض الرَّجاء، وهو نوعان: يأس مطلوب، ويأس محرم، أمَّا اليأس المطلوب للمرء فعله بل واجب عليه في كثير من الأحوال فهو اليأس ممَّا سوى الله تعالى من خلقه، ولا سيما ممَّا في أيديهم ممَّا أعطاهم الله تعالى من نِعم لم يعطها له، فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، علمني وأوجز، قال: ((**إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودع، ولا تتكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي النَّاس**)) [رواه ابن ماجه].

ومن هنا كان بعض الصالحين يقول: حسن الظَّن بالله هو اليأس عن كل شيء سوى الله.

أمَّا اليأس المحرَّم: فهو القنوط من رحمة الله أو من تغيير وضعه أو يأسه من زوال ما ألمّ به أو يأسه من النَّصر.... وهكذا.

والإياس من رحمة الله منهي عنه، وقد عدّه العلماء من الكبائر، قال ابن حجر المكي: (عَدُّ ذلك كبيرةً هو ما أطبقوا عليه لما ورد فيه من الوعيد الشَّديد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87].

وروى ابن أبي حاتم والبزار عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: ما الكبائر؟ فقال: ((**الشرك بالله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله**)).

قال ابن حجر: وإنَّما كان اليأس من رحمة الله من الكبائر لأنَّه يستلزم تكذيب النُّصوص القطعية، ثمَّ هذا اليأس قد ينضم إليه حالة هي أشدُّ منه، وهي التَّصميم على عدم وقوع

الرَّحمة لـه، وهـذا هـو القنـوط...، وقـد ورد النَّهي عن القنـوط بسـبب الفقـر أو الحاجـة أو حلول المصيبة.

قـال الله تعـالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم:36-37].

كـان عبد الأعلى التيمي يقـول لجار لـه: (أعـدّ لعظيم الأمـور حسـن الظَّنِّ بالله عزَّ وجلَّ) [البيهقي].

يا صاحب الهمِّ إنَّ الهمّ منفرجٌ	أبشر بخيرٍ فإنَّ الفارج اللهُ
اليأسُ يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأسنَّ فإنَّ الكافي اللهُ
الله يُحدِث بعد العسر ميسرةً	لا تجزعنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ
فإذا بُليت فثق باللهِ وارض به	إنَّ الذي يكشف البلوى هو اللهُ
والله ما لك غيرُ اللهِ من أحدٍ	فحسبك الله في كلٍ لك اللهُ

أيها الإخوة:

كتب أحد الأطباء عن طبيبة مختصة بالتَّوليد وأمراض النِّساء تستعمل مع بعض مريضاتها العلاج باليـأس، تقـول: (إن بعض المريضـات يتـأملنَّ ويتحفـزنَّ وينتظـرنَّ النَّتـائج حتَّى قبـل حـدوث مـا يجب أن يـؤدي إلى النَّتـائج، وكـل ذلـك يـؤدي إلى عـدم حـدوث النَّتـائج، أي يؤدي اضطرابهنَّ إلى التَّأثير على الهرمونات ممَّا يؤثر على الإخصاب المرجو، فلهؤلاء تقول: إنَّها تستعمل العلاج باليأس، فتقول لهنَّ: إنَّ حالتهنَّ لا يمكن أن يطرأ عليها تغيير إلا بعد أشـهر من المداومـة على العلاج، وهكـذا ييأسـنَ من حـدوث شيء مـا، هـذا الشَّـهر، وتقِـل انفعالاتهنَّ.

هذا اليأس يحيّد القلق والانفعالات دون أن يجعل المريضة تكفّ عن أخذ الدَّواء وخلال هـذا الشَّـهر بالـذَّات ينتج الحدث السَّار، يتسلل على أطراف أصابعه دون أن يعرقله انفعال زائد أو ترقب محبط.

تقول: وهناك أُخريات يكن يائسات أصلاً، فيكون علاجهنَّ بالأمل، يكون الأمل حقنة تنشط ما خمل من هرمونات حتَّى لو كان الأمر صعباً جداً من النَّاحية الفيزيولوجية، لكن الأمل يقلِّل من تلك الصُّعوبات مع تناول العلاج وبذل الوسائل.

أيها الإخوة:

إنَّ ما سمته هذه الطَّبيبة العلاج باليأس ربَّما كان يعني شيئاً من تأخير الله تعالى فرجه عن عباده أو غوثه لعباده أو توسعته على عباده أو نصره لعباده أو شفاءه لعباده...، حتَّى يستيئس النَّاس من كل شيء في أيديهم ومن كل بَشَر مثلهم، ويعتقدوا من كل قلوبهم أن لا كاشف للهمّ إلا الله، ولا معافي إلا الله، ولا معين إلا الله، ولا ناصر إلا الله، ولا فارج إلا الله، وهم مع كل هذا يبذلون الأسباب الممكنة، هناك يأتي فرج الله.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف:110].

فَقَدَ سيدنا يعقوب ولده يوسف، وبكى عليه بكاء مريراً، وتألّم لفقده ألماً شديداً، وكبرت سنُّ يعقوب، وانحنى ظهره، وابيضّت عيناه من الحزن، وقال يوماً لأولاده: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87]، قال بعض أهل التَّفسير: كان بين دعوة يعقوب أولاده للبحث عن أخيهم وبين فقده أربعون سنة!! لا تيأسوا من روح الله فإنَّ فرجه قريب.

لما كان النَّبي صلى الله عليه وسلم يحفر مع أصحابه الخندق، وقد جمعت قريش له الأحزاب وألّبوا عليه النَّاس وكان الخوف يملأ الجوف، وقد زُلزل النَّاس، كان النَّبي صلى الله عليه وسلم يبشّر أصحابه بأنَّه ستفتح لهم الشَّام،وتفتح لهم مصر، وتفتح لهم فارس!! لا تيأسوا من روح الله فإنَّ فرج الله قريب.

يا أيها الإخوة:

حسن الظَّنِّ بالله والرُّجوع إليه وانتظار الفرج منه وبذل المستطاع في سوق الخير للنَّاس ودفع الضُرِّ عنهم مع الدُّعاء، أبواب عريضة لاستمطار رحمات الله وفرجه، كان سيدنا

الحسن رضوان الله عليه يقول -ويروى مرفوعاً-: (حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصَّدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدُّعاء والتَّضرع) [أبو داود في المراسيل].

أيها الإخوة:

هذا شيء مما قرأت في التَّحذير من اليأس.

أخرج ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يقول الله عزَّ وجلَّ: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قريةٍ ولا أهل بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

والحمد لله رب العالمين